

ثبت المحتويات

الصفحة	الموضوع
2	ثبت المحتويات
3	المقدمة
6-4	المبحث الأول: معنى التدبر القرآني والتفسير العلمي في اللغة والاصطلاح
10-7	المبحث الثاني: الهدى النبوي و هدى الصحابة في التدبر القرآني
10-9	المبحث الثالث: أهمية التدبر القرآني وفوائده
13-11	المبحث الرابع: أقوال المفسرين في التدبر القرآني والعلاقة بين التدبر القرآني والتفسير العلمي
24-13	المبحث الخامس: نموذج لوقفه تدبرية : "التفسير العلمي لمفردات الحجوم الصغيرة في القرآن الكريم - "الذرة والنقير والفتيل" انموذجا-
25	الخاتمة: النتائج
26	التوصيات
30-27	ثبت المصادر والمراجع

ثبت المحتويثثبت الث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.. فالقرآن الكريم كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ كتاب يعطي لكل جيل على حسب طاقته ويعطي لكل فرد على قدر فهمه ويعطي للجيل القادم شيئاً جديداً لم يعطه للجيل الذي سبقه؛ ولا يكون ذلك إلا للمتدبرين بآياته، المتفكرين في مقاصده، المستنبطين لأحكامه، الباحثين عن معانيه ودلالاته.

ويأتي بحثنا هذا (التدبر القرآني وأثره في التفسير العلمي - نظير وتطبيق-) إيماناً و يقيناً بأن القرآن الكريم هو أساس نهضة أمتنا الإسلامية، وهو سرّ تقدمها في المجالات كلها، شريطة أن تتلوه حق تلاوته، وتتدبره حق التدبر، ثم تعمل به بحسب المقاصد التي أنزل من أجلها.

حاولنا من خلال البحث الوقوف على معطيات علمي (التدبر والتفسير العلمي) طلباً في التأصيل والترسيخ العلمي لقضية التدبر القرآني؛ الذي يعمل على بناء العقل المسلم من خلال تكوين قناعات راسخة مستمدة من واقع الفرد والمجتمع على السواء؛ فضلاً أن العلم يشهد في العصر الحديث تطوراً سريعاً بشكل منقطع النظير، إذ نرى أن المفاهيم العلمية تجدد بسرعة فائقة بين الحين والآخر نظراً للسرعة الموهولة الذي يشهده التطور التكنولوجي، من هنا جاءت أهمية هذا البحث في بيان العلاقة الوثيقة بين علمي "التدبر والتفسير العلمي" لبيان روعة التصوير القرآني لقضايا علمية من خلال مفردات قرآنية كان لها الأهمية العلمية الكبيرة في البحث العلمي في الوقت الحاضر.

وقد اعتمدنا في إنجاز البحث على بعض المصادر والمراجع المهمة اللغوية منها والتفسيرية والعلمية؛ فضلاً عن المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، والتي ساهمت جميعها في إغناء الموضوع بمعلومات علمية دقيقة. ومن أهم أسباب اختيار موضوع البحث جدّته وحدائته في الأوساط العلمية والخوض للحصول على معلومات جديدة وقيمة التي تبرهن إعجاز القرآن الكريم في هذا الميدان.

وقد تضمن البحث خمسة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة، فقد شمل المبحث الأول معنى التدبر القرآني والتفسير العلمي في اللغة والاصطلاح، وقد كان عنوان المبحث الثاني الهدي النبوي و هدي الصحابة في التدبر القرآني، وقد تناول المبحث الثالث أهمية التدبر القرآني وفوائده، يليه المبحث الرابع تضمن أهم أقوال المفسرين في التدبر القرآني والعلاقة بين التدبر القرآني والتفسير العلمي، وختمت المباحث بمبحث خامس تطبيقي تحت عنوان: نموذج لوقفه تدبرية: "التفسير العلمي لمفردات الحجوم الصغيرة في القرآن الكريم - "لذرة والنقيير والفتيل انموذجاً"-، وختتم البحث بأهم الاستنتاجات والتوصيات.

وأخيراً فإن أي جهد بشري لا يمكن أن يصل إلى الكمال ، فالكمال لله تعالى وحده، فما كان من صواب فبفضل الله ومنتته وما كان من خطأ فمن أنفسنا... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: معنى التدبر القرآني والتفسير العلمي في اللغة والاصطلاح:

أولاً: آيات (التدبر) في القرآن الكريم :

ورد التدبر في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي: قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص:29]. وقد نعى القرآن على أولئك الذين لا يتدبرون القرآن ولا يستنبطون معانيه في قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء:82] ، وقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد:24] ، وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ) [المؤمنون: 68].

ثانياً: (التدبر) في اللغة والاصطلاح :

أوسع العلماء والمفسرون مقام التدبر بحثاً ودراسة؛ فضلا عما قدموه من تعريفات لهذا المصطلح، وفيما يأتي بيان لأهم التعريفات اللغوية والاصطلاحية لمصطلح التدبر:

- **التدبر في اللغة:** تدور مادة التدبر حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها ، فالتدبر هو : النظر في عواقب الأمور وماتؤول إليه. قال الزجاج (ت:311هـ): "التدبر: النظر في عاقبة الشيء" (1)، وقال ابن فارس(ت:395هـ): "دبر: الدال والباء والراء اصل هذا الباب أنّ جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء" (2)، وقال الجرجاني (ت: 816هـ): "التدبر في عواقب الأمور ، وهو قريب من التفكير ، الا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه في العواقب" (3).

- **التدبر في الاصطلاح:**

التدبر بمعناه العام يرجع استعماله في الغالب إلى معناه اللغوي ، فهو عبارة عن آلية منهجية فعالة تجعل الإنسان المتدبر يقوم بعملية نقد ذاتي لباطنه وسلوكياته الظاهرة؛ قصد الارتقاء بفكره وتركيبه نفسه من خلال مقارنة حاله مع مقتضى الكلام المتدبر، قال ابن القيم: "وتدبر الكلام أن يُنظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على

(1) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج: 2/ 82.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس: 2/ 324.

(3) التعريفات، الجرجاني: 1403هـ - 1983م: 54

بناء التَّفَعُّل كالتجرع والتفهم والتبين⁽¹⁾. وتدبر القرآن هو التأمل لفهم المعنى الكامن والمكتنه في ثنايا الآيات القرآنية الكريمة ، ويكون به التوصل إلى معرفة مقاصد الآيات وأهدافها، وما ترمي إليه من المعاني والحكم والأحكام، وذلك بقصد الانتفاع بما فيها من العلم والإيمان، والاهتداء بما والامتثال بما تدعو إليه⁽²⁾. فتدبر آيات القرآن: هو النظر إلى مآلاتها وعواقبها في النفس وفي المجتمع⁽³⁾ ، والتدبر هو: محاولة إخراج ما في النص من مختلف الدلالات التي لا تظهر بادي الرأي ، وهو كشف لمعاني مستكنة في النصوص لا تتحصل إلا بالفهم العميق والنظر والتأمل الكثير ؛ فالتدبر وإن لم يكن تفسيراً فإنه يمثل رافداً له⁽⁴⁾.

ثالثاً: (التفسير) في اللغة والاصطلاح:

- التفسير لغة: قال ابن فارس: (الفسر: كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول فسرت الشيء، وفسرته)⁽⁵⁾. وهو مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي رباعي مضعف: (فَسَّرَ) تقول: فَسَّرَ، يُفَسِّرُ، تفسيراً. ومادة الكلمة - جذرها الثلاثي - (فسر) ⁽⁶⁾.
- التفسير اصطلاحاً: علم يفهم به كتاب الله، المنزل على نبيه محمد (ﷺ) واستخراج أحكامه وحكمه ⁽⁷⁾.

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية: (183/1).

(2) ينظر: كيف تدبر القرآن - خطوات عملية ، عمر بن عبد المجيد

البيانوني <http://vb.tafsir.net/tafsir37640/#.Vd6y3n0irMw>

(3) ينظر: التدبر هو الغاية من إنزال القرآن ، د. فريد الأنصاري: <http://www.startimes.com/f.aspx?t=35669166>

(4) ينظر: في تدبر القرآن ، محمد بن شاعر الشريف <http://albayan.co.uk/Article2.aspx?id>

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس: ص 837؛ ينظر: تعريف الدارسين، صلاح عبدالفتاح: ص 23.

(6) ينظر: تعريف الدارسين: ص 23.

(7) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 13/1؛ تعريف الدارسين، ص 24.

رابعاً: معنى التفسير العلمي والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي:

التفسير العلمي: (هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجمت صحته من نظريات العلوم الكونية)⁽¹⁾. ويختلف التفسير العلمي عن الإعجاز العلمي حيث أن:

الإعجاز العلمي: هو إنباء القرآن الكريم أو السنة النبوية وسبقهما في ذكر حقيقة أثبتتها العلم التجريبي في الأزمنة المتأخرة وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، وهو باب من أبواب الإعجاز الغيبي⁽²⁾.

إذ أن التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي، فالإعجاز العلمي نوع أو صورة من صور التفسير العلمي؛ فكل إعجاز تفسير علمي وليس كل تفسير علمي إعجاز. ومن أهم الفروق بينهما:

1. أن الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية، والتفسير العلمي يتناول النظريات والإشارات الضمنية في تفسير النصوص الكونية.

2. أن الإعجاز العلمي متفق عليه بين أهل التفسير، والتفسير العلمي مختلف فيه، بل إن من العلماء من لا يجيزه.

3. أن التفسير العلمي إذا لم تُراعَ ضوابطه وشروطه قد يكون سبباً في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله، لسعة مجاله، ولذا فإن كثيراً من الباحثين المعاصرين قد انحرفوا فيه عن جادة الصواب لمخالفتهم تلك الضوابط.

أن الإعجاز العلمي أوضح من ذلك وأبعد، والخطأ فيه أقل، إذ أنه غالباً ما يقع بسبب عدم الربط بين الحقيقة الشرعية والكونية⁽³⁾.

(1) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالله المصلح: ص32.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: 31.

(3) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: 32-33.

المبحث الثاني: الهدي النبوي و هدي الصحابة في التدبر القرآني :

لو نظرنا إلى هديه صلى الله عليه وسلم مع القرآن وجدنا له كما يقول الإمام ابن القيم: "حزباً يقرؤه، ولا يخل به، وكانت قراءته ترتيباً لا هذاً ولا عجلةً، بل قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً، وكان يُقَطِّعُ قراءته آية آية، وكان يمد عند حرف المد.. وكان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته... وكان يجب أن يسمع القرآن من غيره.. وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومُحَدِّثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة، وكان - صلى الله عليه وسلم - يتغنى به"⁽¹⁾. وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الأمة إلى التدبر وفهم معاني القرآن، فحين نزل قوله تعالى: "(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران:190، 191]. قال صلى الله عليه وسلم: " فَلْيَتَفَكَّرُوا فِيهَا"⁽²⁾. ويظهر هنا وجوب التفكير في آيات القرآن ولو في بعض آياته.

هدي الصحابة في التدبر القرآني:

لقد أحب الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم وعملوا به، واحتكموا إليه، وتربوا عليه، فأعزهم الله بالقرآن، وأعلى شأنهم وحوّلهم إلى أحسن حال، وأرفع مكانة، فنقلهم من رعاة إبل وغنم، وعباد أصنام، إلى قادة أمة وشعوب، ومن قبائل متحاربة متخاصمة، إلى أمة متألّفة متحابّة، "عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا " يَفْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَظْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ"⁽³⁾. فهكذا كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل؛ فلا علم جديد إلا بعد فهم السابق والعمل به .

وجعل الصحابة وهم خير أسوة- الحفظ مدخلاً وعاملاً للتدبر والعمل، ووسيلة ومفتاحاً للفهم، فلم يكن الحفظ عندهم غاية يتوقفون عندها، وإنما كان وسيلة لتحقيق غاية كبرى؛ وهي التدبر والفهم والعمل، أما تلقيهم لكتاب الله العزيز فكانوا يتلقون عشر آيات، ولا يجاوزونها حتى يتعلموها، ويتقنوا فهمها، والعمل بها، وبهذه الطريقة تعلموا العلم والعمل والإلتقان جميعاً، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: (كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن ، وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن ، منهم

(1) زاد المعاد ، ابن القيم : 463 / 1.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير: حديث الصحابي ابن عباس رضي الله عنه: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا :بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ :ح(12322)، 12 / 12.

(3) رواه الطبري في تفسيره : 80/1 .و أحمد في مسنده: حديث الصحابي أبي عبد الرحمن السلمير رضي الله عنه: مسند الانصار :ح(23482)، 38 / 466.

الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به . وفي هذا المعنى قال ابن مسعود : إنّ صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن ، وسهل علينا العمل به ، وإن مرّ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به⁽¹⁾.

الصحابة يتعلمون التفسير والمعاني:

ولعل الطريقة الفعّالة في التدبر؛ هي: التي تجمع بين حفظ الآيات وفهم المعاني، وهي التي سلكها الصحابة، وذلك ناشئ عن وعيهم بأن تعلّم المعاني مطلوب كتعلم الألفاظ، فكانت طريقتهم كما روى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " كان الرجلُ منّا إذا تعلمَ عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرفَ معانيهن والعمل بهن "⁽²⁾ ، وهذا يدلُّ على أن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة⁽³⁾؛ فبيّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: 44] ، فنقل معاني القرآن عنه صلى الله عليه وسلم كنقل ألفاظه سواءً بسواء، بدليل قوله تعالى: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [النور: 54] و[العنكبوت: 18] ، وقال ابن تيمية: "الصحابة رضي الله عنهم أخذوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم لفظ القرآن ومعناه"⁽⁴⁾. وهكذا تلقى الصحابة رضي الله عنهم هذا القرآن لفظاً ومعنى ، وكان التعلم والتعليم عندهم مبنيهما على التفقه في القرآن دون سواه .

(1) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي: 39/1-40 .

(2) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري: 35/1 .

(3) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية : 7 / 124 .

(4) مجموع الفتاوى: 13 / 384 .

المبحث الثالث: أهمية التدبر القرآني وفوائده :

- أهمية التدبر : وحول التعريف بأهمية التدبر فيما نتلوه من آيات الله والحكمة قال السعدي في تفسيره: "يأمر تعالى بتدبر كتابه ، وهو التأمل في معانيه ، وتحديق الفكر فيه ، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك ؛ فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف ، وبه يُستنتج كلُّ خير وتُسْتخرج منه جميع العلوم ، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته ؛ فإنه يعرّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال ، وما يُنزّه عنه من سمات النقص ، ويعرّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها ، وما لهم عند القدوم عليه ، ويعرّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب ، وصفة أهلها ، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ، ازداد علماً وعملاً وبصيرةً ، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه (هو) المقصود بإنزال القرآن"⁽¹⁾ . وقد يكون ما ذكره السعدي من أهمية التدبر لكتاب الله تعالى من أفضل ما قيل في هذا الشأن ، ولنا أن نقف من خلاله على نقاط منها:

1. إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف ، وهو للعلماء والباحثين محور المعرفة ومكتنزها ، وهذا الأمر كائن في كافة التخصصات ، فهو نبراس لأهل الشريعة كونه المصدر الأول للتشريع ، وهو كذلك للعلماء الكون فالله تعالى هو خالق الكون والعالم بأسراره.

2. ما يحدثه التدبر من زيادة الإيمان ونموه وهو نور يلقيه الله في القلب، قال تعالى: [مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا مَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] [الشورى: 52]، فقد قرُن الإيمان بالكتاب في الآية الكريمة ، فما الإيمان إلا ثمرة من ثمرات الكتاب وتلاوته وتدبره.

3. إن التدبر ضرورة تمنحنا القدرة على التبليغ عن دين الله وعن سنة رسوله ، قال صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)⁽²⁾ ، والخطاب هنا في الحديث الشريف تكليف للأمة كلها ، فما من مسلم إلا ولديه قدرة على تَعَلُّم آية من كتاب الله تعالى وتبليغها ، ثم إن تبليغ الآيات ومعانيها لا يكون ناجحاً إلا أن يسبقه تدبر وكشف عن معانيها وأسرارها.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: 189-190.

(2) رواه البخاري. حديث الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص Ⓣ : كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ : بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : ح: (3461) ، 4/170.

- من فوائد التدبر: (1) ومن خصائص القرآن الداعية إلى التدبر أنه ميسر لكل تالٍ وحافظ (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) [القمر: 17]، وعلى هذه الخصيصة تتأني فوائد عديدة ومنافع قيّمة ، يمكن إيجازها بما يأتي:
الأول: بناء العقول وتنشيطها وإعمالها:

قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص:29]. ففي الآية بيان أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا مجرد التلاوة على عظم أجرها(2).

الثاني: التخلق والعمل بعموم أخلاق القرآن:

إن من أهم فوائد التدبر هي التخلق بأخلاق القرآن الكريم والعمل به؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلِقَ القرآن ؛ كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقد جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة ، وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل ، "فقال: فقلت: يا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، قالت: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ ، قلتُ: بلى، قالت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ، قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَن شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ ..."(3) ؛ إذ لا حاجة له بعد ذلك أن يسأل أحداً عن شيء مادام القرآن الكريم بين يديه وأن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن الكريم نفسه. وقال النووي: "معناه: العمل به ، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه ، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته"(4).

الثالث: الوقوف على التوافق والانسجام في آيات الله في الكون والقرآن:

من أهم فوائد تدبر القرآن الكريم الوقوف على التوافق التام والانسجام الكامل بين آياته. وقوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد:24] ، قول قاطع في حال أولئك الذين لا يُحْكِرُونَ منظومة التفكير لديهم وهم يسمعون القرآن ، فهم أصحاب قلوب مقفلة ليس لأصحابها التعرف على الفوائد العظيمة لتدبر كتاب الله سبحانه ، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِحْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء:82]. قال ابن كثير: "يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن ونهاياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: (أَفَلَا

(1) أمثلة (التدبر القرآني) بحسب مقاييس مدارس اللغة والإعجاز-تأصيل وتنظير وتطبيق- الدكتور المهندس أحمد عامر الدليمي: 24.

(2) تدبر القرآن .. لماذا وكيف ؟ ، إبراهيم بن عبد الرحمن التركي:

<http://albayan.co.uk/article.aspx?ID=1111#sthash.gzCsXYof.dpuf>

(3) رواه مسلم . حديث سعد بن هشام بن عامر: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض: ح(746)، 1 / 512.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم . حديث سعد بن هشام بن عامر: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب صلاة الليل وَعَدَدِ رَكَعَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اللَّيْلِ: ح(746)، (6 / 26).

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ"⁽¹⁾. فهذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب. هذا فضلاً عن تحقق العلم والمتعة في كشف الإنسجام بين آيات الله في كتابه وآيات الله في كونه.

الرابع: اكتشاف القرآن والإيمان به والتواصل معه:

واكتشاف القرآن يقتضي تدبره والتواصل معه على مدى الحياة ؛ ويكون ذلك مع الأيام والشهور والسنين ، وهي من علامات الإيمان به ، قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) [البقرة: 121]. روى ابن كثير أن ابن مسعود قال: "والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقراه كما أنزله الله"⁽²⁾. وهذه فائدة عظيمة لتلاوة القرآن وتدبره فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ، إذ يكونون في تواصل معه ، ويعيشون حدوده وشروطه وأوامره ونواهيه.

(1) تفسير القرآن العظيم ، 364/2.

(2) م.ن: 403/1 .

المبحث الرابع: أقوال المفسرين في التدبر القرآني والعلاقة بينه وبين التفسير العلمي:

أقوال المفسرين في "التدبر القرآني":

ولعل فيما قدّمه المفسرون من معنى التدبر في تفاسيرهم خصوصية وأهمية ؛ وذلك لارتباط ذلك المصطلح بالقرآن وتفسيره ، وهذا ما يدعو إلى إفراد عنوان له ، ومن ذلك ما يأتي:

قال ابن عطية (ت: 481 هـ): "التدبر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"⁽¹⁾ ، وقال البغوي (ت: 516 هـ): "هو النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره"⁽²⁾، آخر الأمر هنا يكون في حافات العلوم والكشف عنها ، هذا بالنسبة إلى المتخصصين في الكونيات ، وأما لأهل العلوم الشرعية فهي لاستنباط الأحكام ودلالاتها. وقال الزمخشري (ت : 538 هـ): "تدبر الأمر: تأمله والنظر في إداره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه"⁽³⁾، وقال الرازي (ت: 606 هـ): "التدبير والتدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها"⁽⁴⁾ ، وقال البيضاوي (ت : 685 هـ): "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه ، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء"⁽⁵⁾ ، وقال أيضاً: "لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ) ؛ ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبط"⁽⁶⁾ ، وقال البقاعي (ت : 885 هـ): "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) أي يتأملون ، يقال: تدبرت الشيء - إذا تفكرت في عاقبته وآخر أمره"⁽⁷⁾ ، وقال الشوكاني (ت 1250هـ): "يقال تدبرت الشيء : تفكرت في عاقبته وتأملته ، ثم استعمل في كل تأمل، والتدبير: أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته"⁽⁸⁾، وقال الألوسي (ت: 1270 هـ): "وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابه"⁽⁹⁾ . وقال ابن عاشور (ت : 1393 هـ): "التدبر مشتق من الدبر، أي الظهر، اشتقوا من الدبر فعلاً، فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة. والتدبر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى (يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي: 2/ 83.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) : 1 / 667.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،الزمخشري: 1 / 540.

(4) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،الرازي: 10 / 151.

(5) تفسير البيضاوي: 2 / 86.

(6) م.ن. : 5 / 28.

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،البقاعي: 5 / 340.

(8) فتح القدير،الشوكاني: 1 / 567.

(9) مفاتيح الغيب: 10/151.

إليها المسلمين ، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله ، وأن الذي جاء به صادق⁽¹⁾ ؛ هنا يشير ابن عاشور إلى البلاغة والاعجاز البلاغي . ويقول أيضاً: "والتدبر : إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له . وأصله أنه من النظر في دُبر الأمر ، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء"⁽²⁾.

العلاقة بين التدبر القرآني والتفسير العلمي وأثرهما في بناء العقل المسلم:

يعد المنهج التدبري الأمثل للقرآن الكريم هو ما يمكن تحقيقه من تآزر وتلاحم بين التفسير كونه من أهم الوسائل والطرق التي تشرح العلوم المختلفة المبسط للمناهج التي تبدو معقدة والشارح للعبارات الموجزة من جهة؛ والتدبر الذي يفتح آفاقاً جديدة في الوقوف على ما يكتنزه القرآن الكريم من معان عميقة واكتشافات مبهرة من جهة أخرى؛ فهما مستويان معرفيان متآزران متداخلان يتشعبان معاً في الكشف عن معاني الآية الكريمة، ويعدُّ منهجاً حديثاً رصيناً في دراسة الآية الكريمة وبيان مافيه من وجوه الإعجاز البياني والعلمي على السواء ، ومن ثم تحقيق التدبر القرآني على المستويين المعرفيين نفسيهما.

ومن المهم الإشارة إلى أنّ عملية التدبر المخطط لها مسبقاً بحسب منهجية علمية رصينة يعتمدها الباحث قد تفتح آفاقاً جديدة؛ أو يتخللها مستويات معرفية جديدة ؛ وهذه فوائد جليلة متوخاة من التفسير العلمي من خلال عملية التدبر الإيجابي الناجح.

ومع ظهور الاكتشافات العلمية المبهرة على مستوى العلوم جميعها وبسرعة مذهلة ومضطردة جاءت أهمية التفسير العلمي والذي يعدُّ وجهاً من أوجه التفسير، إذ يُعنى بربط المعاني القرآنية مع الاكتشافات العلمية المعاصرة من خلال التدبر المنهجي الرصين لدلالات الآيات القرآنية؛ واتباع أحسن طرق التفسير من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم أولاً و ما أوضحتها السنة النبوية كونها شارحة ومفصلة للقرآن الكريم، ثم الرجوع إلى أهل اللغة وأقوال المفسرين في النص القرآني محل التفسير؛ فضلاً عن أن التفسير العلمي ظني الدلالة يخضع للحقيقة والنظرية في آن واحد؛ وبذلك يفتح آفاقاً جديدة في فهم دلالات آيات القرآن الكريم وفق المفهوم المعاصر، ويتآزر كل من التدبر والتفسير العلمي والذي يعد المرحلة التي تلي التدبر؛ يمكن أن يحدثان في الوقت نفسه نفضة وثورة علمية معرفية في بناء عقل المسلم وشخصيته ؛ إذ يساهمان في بيان إعجاز القرآن الكريم مهما تباعد الزمن وتطور العلم. ويمكن بيان العلاقة بين التدبر والتفسير العلمي وأثرهما في بناء العقل المسلم من خلال ما يأتي:

(1)التحرير والتنوير ، ابن عاشور: 5 / 137.

(2) م.ن: 87/18.

1. إن تفسير الآية هو الوقوف على معانيها المرادة وما ذكره المفسرون والعلماء فيها، وأما تدبرها فهو البحث عن أبعاد ذلك الفهم في النفس والحياة والمجتمع، ومدى امكانية تفعيل تلك الأبعاد والمعاني والتي تجعلها مؤثرة في كل هذه المفردات.
2. أن الفهم الصحيح يؤدي إلى التدبر السليم الذي يوجه العقل والقلب التوجيه الذي يرضاه الله تعالى، وهذا على خلاف من الفهم الخاطيء الذي يسبب المشاكل في التدبر والتدقيق في مفردات الآيات، ما يبني على تلك الأخطاء فيما بعد ذلك من القناعات والتصرفات والتوجهات.
3. أن التدبر لا يكون إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية ، بيد أن التفسير العلمي للآية الكريمة يأتي بعد التدبر وهذا مايسمى بالاستنباط ولهذا فإن التسلسل المنطقي بين (التفسير والتدبر والاستنباط) هو هكذا تماماً: التفسير ثم التدبر ثم الاستنباط.
4. أن التدبر من أكبر مقاصد التفسير ، وذلك لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم هي آيات عظة وعبرة، وبيان تلك العبر والعظات هي من التفسير قطعاً، كونها بيان المراد من هذه الآيات.
5. أن المقصود الأصلي للتفسير هو بيان معاني كلام الله تعالى ، ومقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار.

المبحث الخامس: نموذج لوقفه تدبرية: "التفسير العلمي لمفردات الحجوم الصغيرة في القرآن الكريم - "الذرة والنقير والفتيل" انموذجا-

ارتأينا في هذا المبحث أن يكون نموذجا لتطبيق منهجي رصين في بيان أثر التدبر القرآني و التفسير العلمي في بناء العقل المسلم ؛ وبيان مايتجدد من فهم علمي لآيات القرآن الكريم من خلال إعمال العقل ، وبالتالي يساهم كل من التدبر والتفسير العلمي في بناء العقل المسلم؛ وليظهر بشكل تطبيقي عملي العلاقة الوثيقة بين التدبر والتفسير العقل ،وفق المطالب الآتية:

أولاً: الذرة والنقير والفتيل في اللغة والاصطلاح:

معاني "الذرة" في اللغة والاصطلاح : وردت لفظة "الذرة" عند علماء اللغة بمعاني عدة منها:

1. تأتي بمعنى اللطافة والانتشار⁽¹⁾، منه (الذرية) (الذرة) بالفتح لغة في (الذرية) وتجمع على (أذرة) بوزن أسرة⁽²⁾، ذرت الشمس ذروراً؛ إذا طلعت، وهو ضوء لطيف منتشر وذلك قولهم لا أفعله ماذرّ شارقاً، ماذرّ قرن الشمس، وكذلك (ذرّ) البقل؛ إذا طلع من الأرض ويكون حينئذ صغار منتشر⁽³⁾.
 2. تدل على الصغر: الذرّ صغار النمل، واحدته ذرة، وتدلل على التفريق يقال: ذر الملح والدواء أي فرقه⁽⁴⁾، والذور ما يذر في العين وعلى الجرح من دواء يابس وعلى الطعام من ملح مسحوق⁽⁵⁾.
 3. وقد تأتي بمعنى الكنية وسمي الرجل (ذراً) وكني أبو ذر، وفي حديث جبير بن مطعم: رأيت يوم حنين شيئاً أسود ينزل من السماء فوقع إلى الأرض فذبّ مثل الذرّ وهزم الله المشركين⁽⁶⁾.
- وللذرة في معناها الاصطلاحي تعاريف عدة:

1. يعبر عنها بالأوزان الدقيقة، وقيل إن مائة منها وزن حبة من شعير فإنها جزء من مائة، وقيل أن الذرة ليس لها وزن⁽⁷⁾.
2. والذرة في الاصطلاح العلمي الحديث: هي الجزء الأصغر من المادة التي تحمل صفاتها⁽¹⁾.

(1) ينظر: مقاييس اللغة: 343/2.

(2) ينظر: مختار الصحاح، الرازي: 112.

(3) ينظر: مقاييس اللغة، 343/2.

(4) ينظر: مقاييس اللغة، 343/2؛ ولسان العرب، ابن منظور: 497/1؛ والكليات، الكفوي: 64/1.

(5) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة: 310/1.

(6) ينظر: لسان العرب، دار صادر، ط3ب، بيروت، 1414 هـ: 497/1؛ مختار الصحاح: 112/1.

(7) ينظر: لسان العرب: 497/1.

3. الذرة: هي أصغر جزء في عنصر ما يصح أن يدخل في التفاعلات الكيميائية⁽²⁾.
4. الذرة: هي أصغر جزء في هذا الكون (وهي طبعاً لا ترى بالعين المجردة وتعتبر الذرة وحدة بناء الكون فكل العناصر الموجودة في هذا الكون تتكون من ذرات على سبيل المثال لو أخذنا قطعة حديد صغيرة وقمنا بدراستها تحت المجهر لوجدنا أنها تتكون من عدد هائل من الذرات لا يمكن تخيله)⁽³⁾.

– معاني "النقير" في اللغة والاصطلاح : وردت لفظة (النقير) عند علماء اللغة بمعان عدة:

المعنى الأول: تدل على القرع، قال ابن فارس (النون والقاف والراء أصلٌ صحيح يدل على قرع شيء حتى تهزم فيه هزمه ثم يتوسع فيه)⁽⁴⁾.

المعنى الثاني: تأتي بمعنى منقار الطائر لأنه ينقر به الشيء حتى يؤثر فيه ونقرت الرحي بالمنقار، وهي تلك الحديدية⁽⁵⁾.

المعنى الثالث: تأتي بمعنى النقرة النكتة التي في ظهر النواة⁽⁶⁾ والنقرة موضع يبقى فيه ماء السيل⁽⁷⁾.

المعنى الرابع: تأتي بمعنى البحث والتمحيص في الأمر يقال نقرت عن الأمر حتى علمته وذلك ببحثك عنه⁽⁸⁾.

المعنى الخامس: ما نقب من الخشب والحجر ونحوهما وأصله خشبة يُنقَرُ فينبذ فيه فيشتدُّ نبيذه وهو الذي ورد

الذهبي عنه⁽⁹⁾.

أما المعنى الاصطلاحي للفظ "النقير" هو: وحدة وزن ضئيلة كل ستة منها تعادل فتيلاً فيكون النقير بذلك نظرياً

جزء من 2592 جزءاً من الجو الذي يبلغ وزنه (0,45 غم)⁽¹⁰⁾.

(1) ينظر: المادة والطاقة، خالد فاتق: 10.

(2) ينظر: المعجم الوسيط: 310/1.

(3) الموقع على الشبكة العنكبوتية: mawd003.comhgl .

(4) ينظر: مقاييس اللغة: 468/5-469.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 468/5-469.

(6) ينظر: مختار الصحاح: 317؛ لسان العرب: 228/5؛ الكليات: 909/1.

(7) ينظر: مقاييس اللغة: 468/5-469.

(8) ينظر: المصدر نفسه: 468/5-469.

(9) ينظر: مختار الصحاح: 317؛ لسان العرب: 228/5؛

(10) ينظر: المكايل والأوزان الإسلامية، فالتر هنتس: 56.

– معاني "الفتيل" في اللغة والاصطلاح : الفتيل عند علماء اللغة له معان عدة:

المعنى الأول: (فَتَلَ) الفاء والتاء واللام أصل صحيح يدل على لَيَّ الشيء كَلَيْتَكَ الحبل، وكفتل الفتيلة، يقال انفتل فلان عن صلاته أي انصرف، ولفت فلان عن رأيه وفتله أي صرفه ولواه⁽¹⁾.

المعنى الثاني: (الفتيل) ما يكون في شق النواة لكونه على هيئته قال تعالى: {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}[النساء:49] (2).

المعنى الثالث: الفتيل ما يفتل بين الإصبعين من خيط أو وسخ ويضرب به المثل في الشيء الحقير⁽³⁾.

المعنى الرابع: الفتيل حبل دقيق من خزم أو ليف أو عرق أو قد يشد على العنان وهي الحلقة التي عند ملتقى الدُّجَزين⁽⁴⁾.

المعنى الخامس: الفتيل: السمة في شق النواة، وما أغنى عنه فتيل ولا فتلة، أي: ما أغنى عنه مقدار تلك السمة التي في شق النواة⁽⁵⁾.

أما اصطلاحاً: فتيل وزن ضئيل (نظري) يساوي 432/1 من الجو، 6 فتيل = فلس واحد، و 12 فلس = حبة خردل واحدة، و 6 حبات خردل = 1 جو⁽⁶⁾.

ومن خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية لألفاظ "الذرة والنقير والفتيل" نجد العلاقة المشتركة بينهما أنها ألفاظ تدل على الصغر حجماً؛ فضلاً عن أنها تستخدم للتعبير عن الأوزان الدقيقة المتناهية في الصغر.

ثانياً: آيات (الذرة والنقير والفتيل) في القرآن الكريم:

جاءت لفظة "الذرة والنقير والفتيل" في القرآن الكريم في عدة مواضع في السياق القرآني ضمّ عدداً من الآيات الكريمات؛ ولا ريب أن لذكر القرآن الكريم لهذه الألفاظ والإشارة إليها على الرغم من صغر حجمها ودقة وزنها؛ ما هو إلا تنبيه لأهميتها وما فيها من حقائق علمية تم اكتشافها حديثاً؛ فضلاً عن لفت الأنظار إلى معرفة أصل بناء الكون، وما

(1) ينظر: مقاييس اللغة: 4/472؛ لسان العرب: 11/514.

(2) ينظر: مقاييس اللغة: 4/472؛ مختار الصحاح: 1/234؛ مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني: 623.

(3) ينظر: مختار الصحاح: 1/234؛ مفردات ألفاظ القرآن: 623.

(4) ينظر: لسان العرب: 11/514.

(5) لسان العرب: 11/514.

(6) ينظر: المكاييل والأوزان الإسلامية: 39.

اكتنفه من أسرار وعجائب علمية ، و موافقته لمعاني هذه الالفاظ للسياق القرآني الذي وردت فيه. وفيما يأتي بيان الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الالفاظ وكما يأتي⁽¹⁾:

- آيات لفظة "الذرة" في القرآن الكريم:

1. {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:40]
2. {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [يونس:61]
3. {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ:3]
4. {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ:22]
5. {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة:7]
6. {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:8]

- آيات لفظة "النقير" في القرآن الكريم⁽²⁾:

1. {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} [النساء:53]
2. {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء:124]

- آيات لفظة "الفتيل" في القرآن الكريم⁽³⁾:

1. {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء:49]
2. {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء:77]
3. {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء:71]

ثالثاً: أقوال المفسرين لمعنى "الذرة والنقير والفتيل":

اختلفت أقوال المفسرين في تفسيرهم لمعاني (الذرة والنقير والفتيل) في السياق القرآني التي وردت فيه، فلكل موضع وردت فيه أعطى معنىً جديداً ، وفيما يأتي بيان أهم أقوال المفسرين في هذه المسألة:

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد: 270.

(2) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 717.

(3) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 511.

- أقوال أهل التفسير لمعنى الذرة: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:7-8]

أشار لفظة الذرة في السياق القرآني إلى معان عدة هي:

- دقة عدالة الله عز وجل في مجازاة عباده كل حسب عمله فلا يبخس أحد منه، فلا ينقص من أجر المؤمن مقدار ذرة قال الواحدي: (إن الله لا ينقص من أحد مثقال ذرة إن كان مؤمناً أثابه الله عليها الرزق في الدنيا والآخرة وإن كان كافراً أطعمه بها في الدنيا وأن الله لا يؤاخذ المسيء بأكثر من جزاء سيئته)⁽¹⁾ ، وقال الثعلبي: (واعلم أن ذكر الذرة ضرب مثل بما يعقل والمقصود انه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً)⁽²⁾.

- المقياس الدقيق، قال ابن الجوزي: (يظن الناس أن المثلقال وزن دينار لا غير وليس كما يظنون، مثقال كل شيء: وزنه وكل وزن يسمى مثقالاً، وإن كان وزن ألف)⁽³⁾.

- الدقة في الصغر حيث أن الذرة فيها خمسة أقوال:

أحدها: أنه رأس نملة حمراء، رواه عكرمة لابن عباس.

الثاني: الذرة اليسيرة من التراب، رواه يزيد بن الأصم، عن ابن عباس.

الثالث: أصغر النمل، قاله ابن قتيبة وابن فارس.

الرابع: الخردلة

الخامس: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس إذا طلعت من ثقب⁽⁴⁾.

ويستفاد من المعنى البلاغي للذرة في سياق هذه الآيات وهي أن الله لا يبخس أحداً من عمله شيئاً ولو كان وزن

ذرة وهي الهباءة، وذلك على سبيل التمثيل تنبيهاً بالقليل على الكثير أي وإن كانت تلك الذرة حسنة ينمها ويجعلها

أضعافاً كثيرة ويعطى من عنده تفضلاً وزيادة على ثواب العمل أجراً عظيماً وهو الجنة⁽⁵⁾.

ثانياً: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبأ:3]

(1) ينظر: الوجيز، الواحدي: 256/1؛ المنتخب، لجنة من علماء الأزهر؛ صفوة التفاسير، الصابوني: 57/3.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 75/2؛ الكشف، الرمخشي: 511/1.

(3) ينظر: زاد الميسر، ابن الجوزي: 406/1.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 75/2؛ الكشف، الرمخشي: 511/1.

(5) ينظر: صفوة التفاسير: 269/1.

أشارت الآيتين إلى علم الله تعالى الذي لا يغيب عنه شيء مهما صغر ومهما عظم، فجاءت لفظة (الذرة) لتشير إلى علم الله عز وجل الذي لا يخفى عليه أصغر الأشياء وأدقها. قال الطبري: (والآية خبر منه تعالى أنه لا يخفى عليه أصغر الأشياء، وإن خف الوزن، ولا أكبرها وإن عظم في الوزن فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربكم، فإننا محصوها عليكم ومجازوكم بها) (1).

وأنه لا يغيب عن علم الله تعالى شيئاً ولو كان وزن لذرة في الأرض أو في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر منه، إلا ويسجل في كتاب بين واضح (2).

ثالثاً: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} [سبأ:22].

أفاد معنى (الذرة) في سياق الآية الكريمة إلى مدى ضعف الآلهة التي اتخذها المشركون أرباباً من دون الله فهم لا يملكون مثقال ذرة في الملك أو الخلق؛ قال المفسرون:

1. قل لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتوهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم فيما يعدوكم كما تلتجئون إليه، وأجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر أو نفع أو ضرر في السماوات ولا في الأرض وما لهم من هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك (3).

2. لا يملكون وزن ذرة من خير أو شر في العالم العلوي أو السفلي، وليسوا بقادرين على أمر من الأمور في الكون بأجمعه ليس له تعالى من الآلهة معين يعينه في تدبير أمرها بل هو وحده الخالق لكل شيء المنفرد بالإيجاد والإعدام (4).

- أقوال أهل التفسير لمعنى النقيير:

1. {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} [النساء:53]

اختلفت أقوال المفسرين في تفسيرهم لمعنى (النقيير) وفيما يأتي بيانها:

أولاً: النقيير: شكله في النواة كالدائرة، يضرب بها المثل في القلة (5).

ثانياً: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ} أي: ليس لليهود ملك؛ وفي قوله تعالى: {فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} ضرب الله مثلاً على وصف بخل اليهود، والمعنى لو كان لهم ملك لم يؤتوا أحداً شيئاً، أي ضنوا بالقليل القليل لو أعطوا شيئاً من الملك (1).

(1) تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري: 349/20؛ صفوة التفاسير: 524/2.

(2) ينظر: المنتخب: 241/2-343/1، الوجيز: 502/1.

(3) ينظر: الكشاف: 579/3؛ المنتخب: 245/2.

(4) ينظر: صفوة التفاسير: 531/2؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 246/4.

(5) ينظر: التحرير والتنوير: 88/5؛ أوضح التفاسير، الخطيب: 101.

ثالثاً: قال ابن الجوزي: وفي النقيير أربعة أقوال أحدها أنه النقطة التي في ظهر النواة، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة.

الثاني: أنه القشر الذي يكون في وسط النواة، رواه التميمي، عن ابن عباس، وروي عن مجاهد: أنه الخيط الذي يكون في وسط النواة.

الثالث: أنه نقر الرجل الشيء بطرف إبهامه، رواه أبو العالية عن ابن عباس.

الرابع: أنه حبة النواة التي في وسطها، رواه بن أبي نجيح عن مجاهد⁽²⁾.

2. {فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}[النساء: 124]

أولاً: أي يدخلهم الله الجنة ولا ينقصون شيئاً حقيقاً من ثواب أعمالهم⁽³⁾.

ثانياً: المؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذي يستطيعونه، طاعةً لله ورسوله فإنهم يدخلون جنة النعيم دون أن ينقص شيئاً من أجورهم مهما كان ضئيلاً⁽⁴⁾.

ثالثاً: جيء بهذه اللفظة للمبالغة في معنى القلة⁽⁵⁾.

- أقوال أهل التفسير لمعنى الفتيل:

أولاً: { بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}[النساء: 49]

(1) ينظر: الوجيز: 269/1؛ الكشاف: 521/1، صفوة التفاسير: 247/1.

(2) ينظر: زاد الميسر: 420/1.

(3) ينظر: صفوة التفاسير: 299/1.

(4) ينظر: المنتخب: 156/1.

(5) ينظر: أوضح التفاسير: 114/1.

1. إن الله لا يظلم أحداً مقدار فتيل قال ابن جرير: وأصل (الفتيل) المفتول صرف عن مفعول إلى فاعيل وفي الفتيل قولان: أحدهما: أنه يكون في شق النواة، رواه عكرمة، عن ابن عباس وبه قال مجاهد، وعطاء عن ابن أبي رباح. الثاني: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ، رواه العوفي، عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير، وأبو مالك، والسدي، والفراء⁽¹⁾.
2. لا ينقصون من أعمالهم بقدر الفتيل، وهو الخيط الذي في شق النواة وهو مثل للقلة كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} (2).

3. يركي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون فتيلاً أي: الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم⁽³⁾.

ثانياً: { قُلْ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا } [النساء: 77]

1. أي قل لهم يا محمد: إن نعيم الدنيا فانٍ ونيعم الآخرة باقٍ فهو خير من ذلك المتاع الفاني لمن اتقى الله وامتنل أمره ولا تنقصون من أجور أعمالكم أدنى شيء ولو كان فتيلاً وهو الخيط الذي في شق النواة⁽⁴⁾.

2. أي لا تنقصون من ثواب أعمالكم مثل فتيل النواة ثم أعلمهم أن آجالهم لا تحطهم ولو تمنعوا بأمنع الحصون⁽⁵⁾.

ثالثاً: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء: 71]

- قال المفسرون : فمن اعطي كتاب عمله بيمينه وهم السعداء أولو البصائر والتُّهى المتقون لله أي يقرؤون حسناهم بفرح واستبشار لأنهم اخذوا كتبهم بأيامهم أي ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئاً ولو كان مقدار الفتيل وهو الخيط الذي في شق النواة⁽⁶⁾.

رابعاً: التفسير العلمي للذرة والنقير والفتيل:

- نبين فيما يأتي التفسير العلمي لهذه المفردات وفق مقاله العلماء المسلمون من أهل الاختصاص وفق ماتوصل إليه تدبرهم واستنباطهم للآيات موضع البحث:

(1) ينظر: زاد الميسر: 418/1؛ التحرير والتنوير: 84/5.

(2) ينظر: صفوة التفاسير: 274/1؛ الوجيز: 268/1.

(3) ينظر: الكشاف: 520/1؛ المنتخب: 138/1.

(4) ينظر: صفوة التفاسير: 284/1؛ المنتخب: 144/1.

(5) ينظر: الوجيز: 275/1.

(6) ينظر: صفوة التفاسير: 164/2؛ المنتخب: 479/1.

- التفسير العلمي للفظـة "الذرة" :

إن التدبر البسيط والمعالجة العلمية الدقيقة للنصوص القرآنية التي ذكرت الذرة والنواة تصريحاً أو تلميحاً أو استنباطاً بواسطة اللغة والتفاسير والأحاديث النبوية الشريفة يرينا بوضوح كيف أن القرآن الكريم سبق العلوم بوصفه الدقيق للذرة⁽¹⁾.

ففي علم البلاغة هناك الحقيقة والمجاز ومعلوم أن المجاز أبلغ من الحقيقة، هذا فضلاً عن أن هناك جناساً تاماً في الأمر وهو يظهر جلياً في ثلاث معان يمكن أن تتضمنها: ((مئثال ذرة)) وهي: الوزن، الحجم، الوزن والحجم معاً ، إذ تحمل معنى الوزن في سورة النساء والزلزلة كونها تتعلق بالأعمال فهي توزن وزناً يوم القيامة، {مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {الزلزلة: 7- 8} ، {وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا} {النساء: 77}، بينما في سورة يونس وسبأ تتعلق بحجم الأمور التي هي مهما صغرت فإنها لا تغيب عن ربها تبارك وتعالى: {وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} {يونس: 61}، {وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} {سبأ: 3}، فضلاً عن أن المعنى في الآتين يمكن حمله على الوزن والحجم معاً ؛ فإن مئثال ذرة يمكن حملها على الوزن تارة والحجم تارة أخرى، وتارة كليهما. إلا أن القرآن الكريم لم يشر إلى الذرة فحسب، بل أشار إلى تفصيلاتها والتقسيمات العلمية لها ويتجلى هذا المعنى في قوله تعالى: {وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ} ، إذ أن هناك مرحلتين أصغر من التركيب الذري وهو ما اكتشفه العلم الحديث⁽²⁾ وهو مرحلة دقائق (المادرون)⁽³⁾. بعد أن كان الاعتقاد السائد قديماً أن الذرة أصغر ما يتصوره عقل الإنسان في الوجود ، ولكن العلم أثبت أن الذرة تلك الشيء الضئيل الذي لا تراه العين مادة قابلة للتجزئة وهذا ما نطق به القرآن قبل الكشوف العلمية الحديثة التي توصل إليها الإنسان في أواخر القرن العشرين.

وتعد النواة أهم جزء في الذرة ؛ إذ تحمل جميع الصفات المادية للعنصر ولا تؤثر فيها أية مؤثرات كيميائية أو حرارية أو كهربائية، والتغيرات التي يتم فيها أثناء تفاعل العناصر بعضها مع بعض ما هي إلا نتيجة لتغير الإلكترونات لموضعها بالنسبة للنواة، أما النواة فتبقى كما هي وبدون أي تغيير أو تبديل لخواصها⁽⁴⁾. وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: {كَمْ كَفَرَ بِاللَّهِ مَا نَدَىٰ ذُرِّيَّتَهُ فَأَخَذُوا الْعُرْسَ فَجَاءُوا بِمَعْنَىٰ غَيْرِهَا} {الأنعام: 133}، وهذا ما أكدته الآية السابقة: {وَمَا يَتَّبِعُ الْإِنسَانَ إِلَّا طَبْعًا} {الأنعام: 123}، فلهذا فإن الذرة والذرة هي وحدات بناء

(1) ينظر: المادة والطاقة : 58.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 59-65؛ ينظر: المطلب الرابع من البحث، الذرة والكوارك والنظرية الخيطية: 17.

(3) هو آلة علمية تجريبية كبيرة عبارة عن معجل جسيمات يستخدمه الفيزيائيون لدراسة الجسيمات ما دون الذرية والتي هي وحدات بناء الكون؛ ينظر: <https://www.marefa.org>.

(4) ينظر: الكون في القرآن الكريم: 290.

وكلما تقدم العلم اكتشف العلماء بواسطة الأجهزة الدقيقة ما هو أصغر أو أكبر مما نعرف كالمجرات والنجوم الهائلة التي تفوق حجم الأرض والشمس بملايين المرات ولقد ذكر الله تعالى كل ذلك في كتابه بقوله: {وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ:3] ، إذ أشار إلى الذرة وثقلها والكون وسعته في وقت لم يعرف الناس عنهما شيئاً⁽¹⁾.

وفي الآية إشارة علمية بأن الذرة يمكن تحطيمها إلى ما هو أصغر منها ، وإن التحطيم الصناعي لها قد أوجد منها قوة رهيبية يمكن استخدامها لدمار العالم أو إعمارها وكل هذه الحقائق مسجلة في كتاب الله وعلمه المحيط بكل شيء فيه لأنه هو الذي لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء⁽²⁾، وأن هذه الطاقة الهائلة الجبارة التي تكمن في نواة الذرة إذا ما تم تحطيمها وشطرها وانفلاتها انطلقت تلك الطاقة من عقلاها حاملة معها الخراب والدمار والموت الزؤام وبتحطيم الذرة في القرن العشرين وشطر نواتها لم تعد الذرة أصغر وحدة في الوجود كما كان يعتقد فزال ذلك الاعتقاد الراسخ من الأفكار بعد أن تبين وجود وحدة أصغر منها⁽³⁾.

- التفسير العلمي للفظ "النقير":

أشار الدكتور علي منصور الكيالي⁽⁴⁾ عن تفسير علمي جديد (للقير) يختلف تماماً عن المعنى الذي أشار إليه علماء التفسير من الأقدمين والمحدثين، فقد ذهب الدكتور الكيالي إلى أن النقير الوارد في قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء:124]. عبارة عن جسيمات تسمى (الكوارك) توصل إلى اكتشافها العالم الفيزيائي جورج تسفايغ عام 1963 وبنى نظرية اعتماداً على اكتشافه لجسيمات صغيرة جداً ، إذ اكتشف أن البروتون و الإلكترون وهما اصغر من الذرة بألف مرة يوجد بداخلهما جسيمات متناهية في الصغر على شكل كرة تسمى "الكواركات" مفرداً كوارك هذا الجسيم اصغر من الإلكترون والبروتون بمائة مرة بمعنى انه اصغر من الذرة بمائة ألف مرة ، وهذه الكواركات قد تكون ثنائية العدد أو ثلاثية أو خماسية داخل البروتون أو الالكترن، وفي أحدث اكتشاف توصل العلماء عام 2015 إلى وجود ستة كواركات داخل الإلكترون أو البروتون، وقد ذهب علماء الفلك من خلال أبحاثهم العلمية أن الكواركات تعد جسيمات أولية مكونة للمادة ، فعلى المستوى الذي تم القياس به لا يوجد أي دليل على أنها تتكون من جسيمات أصغر منها و هناك احتمال ألا يكون لهذه الجسيمات حجم.

(1) ينظر: من صور الإعجاز العلمي في آيات الله، محمد حسن قنديل: 58.

(2) www.uae7.com|vb|t33170.html

(3) ينظر: الكون في القرآن الكريم: 291-293.

(4) هو مهندس معماري وباحث سوري، ولد عام 1953 بمحافظة حلب ودرس الرياضيات والفيزياء والكيمياء وله الموسوعة القرآنية

الشاملة. ينظر: <https://www.ar.m.wikipedia.org>

يتحرك جسيم الكوارك بحركات جيبيّة داخل جسيم الإلكترون بشكل نقر ينقر نقرأ⁽¹⁾، يؤيد هذا الفهم العلمي المعنى اللغوي للنقير بأنه القرع أو النقر⁽²⁾، من هنا نرى كيف أن السياق القرآني يعطي تفسيراً علمياً جديداً والذي يمكن أن يتغير ويظهر ما هو أدق من هذا المعنى بمرور الزمن، فمعاني القرآن الكريم تتجدد بتجدد الزمان وتطور العلم.

- التفسير العلمي للفظ " الفتيل " :

ذهب الدكتور علي منصور الكيالي إلى تفسير علمي جديد حول معنى الفتيل الذي ذكر في القرآن الكريم، إذ يرى معنى (الفتيل) عبارة عن خيط من مجموع ما يقارب الألف خيط من خيوط الطاقة الموجودة داخل جسيم الكوارك ويسمى جسيم (هيكس)⁽³⁾ والتي تشكل جسيم (الكوارك)، فيخرج برؤية تفسيرية علمية جديدة في معنى (الفتيل) في القرآن الكريم المتمثل في قوله تعالى: {وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: 77]، أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم ولا ينقص أجر وثواب أي عمل صالح ولو كان أصغر من الذرة بمئة مليون مرة، يؤيده المعنى اللغوي بأن الفتيل من الفتيلة أو الحبل فالعنى اللغوي قريب جداً من رأيه العلمي حول تفسيره لمعنى الفتيل⁽⁴⁾. ومن هنا نجد ماتوصل إليه الدكتور الكيالي من خلال تدبره للآيات موضوع البحث وماخر جبهه من رؤية تفسيرية علمية والتي لا يمكن لبشر أن يتحدث عن هذا المعنى قبل أكثر من 1400 عام⁽⁵⁾.

- مقارنة علمية بين الذرة والنقير والفتيل:

من خلال الفهم العلمي للدكتور علي الكيالي يمكن القول أنه خرج برؤية تفسيرية علمية جديدة، وإيضاح العلاقة العلمية المهمة بين الذرة والنقير والفتيل، إذ ذهب حسب ما توصل فهمه القرآني إلى أن الذرة ليست أصغر جسيم بل هناك ما هو أدق منها وأصغر بكثير حتى لا يكاد يكون له حجما وهو النقير والذي يعد صفة لحركة جسيم الكوارك بشكل ينقر نقرأ، يوجد بداخله خيوط الطاقة وهي الفتيل، بدليل أن المنطق يدعو إلى أن منتهى العدالة الإلهية تتحدى بما هو أصغر من الذرة وليس العكس، فالله سبحانه وتعالى لا يظلم ولا ينقص أجر وثواب أي عمل صالح ولو

(1) ينظر: الدكتور علي منصور الكيالي <https://www.youtube.com/watch?v=Rkqx500NmmH>.

(2) ينظر: التعريف اللغوي للنقير : 17.

(3) ينظر: المطلب الثالث : التفسير العلمي للنقير: 20.

(4) ينظر: التعريف اللغوي للفتيل: 22.

(5) ينظر: الدكتور علي منصور الكيالي <https://www.youtube.com/watch?v=Rkqx500NmmH>.

كان أصغر من الذرة بمائة ألف مرة، هذه النظرية إن يمكن اعتبارها حقيقة علمية تعد معجزة علمية يتحدى بها؛ إذ لا يمكن لبشر أن يتحدث عن ذلك المعنى قبل أكثر من 1400 عام.

الخاتمة : بعد أن وصل البحث إلى خاتمته يمكن الوقوف على أهم النتائج والتوصيات ؛ وكما يأتي:

- النتائج:
- الوقوف على ظاهرة التدبر التي امتاز بها الجيل الذي عاصر التنزيل وشهده ، وبذلك كان هو جيل التحدي.

- على المتدبر أن يتميز بالملاحظة العلمية الدقيقة ، والإبداع ، والحفاظة الجيدة ، وحب الاطلاع ، والواقعية ، فضلاً عن الخلفية الثقافية والعلمية.
- التدبر القرآني والتفسير العلمي مستويان معرفيان متآزران متداخلان يتشعبان معاً في الكشف عن المعاني العلمية التي تضمنتها الآية الكريمة ، ويظهر أثرهما في بناء العقل المسلم بناءً سليماً ويوجهه التوجيه الذي يرضاه الله تعالى.
- يعد المنهج التدبري الأمثل للقرآن الكريم هو ما يمكن تحقيقه من تآزر وتلاحم بين التفسير بأنواعه وبين التدبر الذي يفتح آفاقاً جديدة في الوقوف على مايكتنزه القرآن الكريم من معان عميقة واكتشافات مبهرة .
- إن تفسير الآية هو الوقوف على معانيها المرادة وما ذكره المفسرون والعلماء فيها، وأما تدبرها فهو البحث عن أبعاد ذلك الفهم في النفس والحياة والمجتمع، ومدى إمكانية تفعيل تلك الأبعاد والمعاني والتي تجعلها مؤثرة في كل هذه المفردات.
- تم تقديم قضية (التفسير العلمي) كأمثلة لتقييم التدبر القرآني.
- أظهر النموذج التطبيقي العلاقة المتينة بين التدبر القرآني و التفسير العلمي وأثرهما في بناء العقل المسلم، من خلال إتباع منهجية صحيحة في التدبر أولاً ، ثم الوصول إلى فهم جديد لدلالة الآيات موضوع البحث ثانياً، إذ نجد اشتراك ألفاظ (الذرة) و(النقيير) و(الفتيل) في الصغر حجماً ووزناً عند أهل اللغة ، وهذا المعنى يوافق ما ذهب إليه أهل التفسير عند معرض تفسيرهم للآيات التي ضمت هذه الألفاظ، فضلاً عن عدم مخالفته للمعنى العلمي كونها جسيمات صغيرة يعود إليها أصل المادة.
- من خلال المقارنة بين المعنى اللغوي والتفسير العلمي للذرة) و(النقيير) و(الفتيل) ؛ أن الذرة في معناها اللغوي هي أصغر الأجسام حجماً بعد النقيير والفتيل، بينما يكون هذا المفهوم عكس ذلك تماماً في التفسير العلمي إذ أن الفتيل هو أصغر الأجسام ثم يأتي بعد ذلك النقيير ثم الذرة ، وبذلك يظهر جلياً أثر التدبر الصحيح في بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال إشارته إلى وجود أجسام أدق وأصغر من الذرة بكثير ؛ فضلاً عن بيان دقة المعاني القرآنية في تمثيلها لمنتهى العدل الإلهي.
- **التوصيات:**
- تنشيط البحث في ميدان التدبر القرآني بحسب الضوابط العلمية.
- تقديم تفسير علمي للقرآن الكريم يجعل من قضية التدبر قضية محورية رئيسة .

- الحديث عن التدبر وأهمية ذلك وأثره في بناء الفرد والمجتمع ، والتربية من خلال التدبر، وتفعيل الشخصية الإيجابية وأنحسار سلبياتها ، وطرح قضية أن التدبر مطلب مجتمعي .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر المطبوعة:

- 1- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، وآخرون، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط1، (د.م.-1429هـ-2008م).
- 2- أمثلية (التدبر القرآني) بحسب مقاييس مدارس اللغة والإعجاز-تأصيل وتنظير وتطبيق- الدكتور المهندس أحمد عامر الدليمي، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم الدار البيضاء/المغرب 1437 - 2015.
- 3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، (ت 685هـ-1286م)، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، (بيروت-1418هـ).
- 4- أوضح التفاسير، محمد بن عبد اللطيف الخطيب، (ت 1402هـ-1981م)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، (القاهرة-1964م).
- 5- البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت 794هـ-1391م)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، (بيروت-1376هـ-1957م).
- 6- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، (ت 1393هـ-1973م)، الدار التونسية للنشر، (تونس-1984م).
- 7- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد القادر الخالدي، دار القلم، (دمشق-1429هـ-2008م).
- 8- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني (ت 816هـ-1413م)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت-1403هـ-1983م).
- 9- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
- 10- تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، موقع التفاسير: <https://www.altafsir.com>
- 11- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م
- 12- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

- 13- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت 310هـ-922م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، (د.م. -2000م).
- 14- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- 15- الجامع لأحكام القرآن تفسیر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، ط2، القاهرة، 1384هـ - 1964م.
- 16- زاد المعاد ، ابن القيم ، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية- الكويت ، ط24 ، 1415هـ /1994م
- 17- زاد الميسر في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت 597هـ-1200م)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، (بيروت-1422هـ).
- 18- شرح النووي على صحيح مسلم أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، 1392 هـ.
- 19- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، ط1، (القاهرة-1997م).
- 20- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق، 1414هـ.
- 21- الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، أبو القاسم محمد بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (ت 538هـ-1143م)، دار الكتاب العربي، ط3، (بيروت-1407هـ).
- 22- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الحنفي الكفوي، (ت 1094هـ-1682م)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر مؤسسة الرسالة، (بيروت-د.ت).
- 23- الكون في القرآن الكريم، بهاء الدين الحسيني اليماني، دار النفائس، ط1، (د.م.-1429هـ-2008م).
- 24- لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور، دار الحديث، (القاهرة-2003م).
- 25- المادة والطاقة، خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت-1426هـ-2005م).
- 26- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، (دمشق-1429هـ-2008م).
- 27- مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،:1416هـ/1995م

- 28- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، ط1- بيروت ، 1422 هـ
- 29- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الرازي،(ت 666هـ-1267م)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، (بيروت-1999م).
- 30- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- 31- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلي ، عالم الكتب ، ط1، بيروت
- 32- المعجم الكبير ، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ، ط2، القاهرة.
- 33- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة-1364هـ).
- 34- المعجم الوسيط (القسم: الغريب والمعاجم ولغة الفقه)، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة والنشر، ط4، (القاهرة-2004م).
- 35- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة .
- 36- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا القزويني(ت395 هـ/1004م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،(د.م-1979م).
- 37- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي ، ط 3، بيروت ، 1420 هـ :
- 38- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدٌ أَجْمَلُ الإِصْلَاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، دار عالم الفوائد، ط1، مكة المكرمة، 1432 هـ.
- 39- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني(ت425 هـ/1033م)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط4،(دمشق-1430 هـ/2009م).
- 40- المكايل والأوزان الإسلامية، فالترهنتس، ترجمة عن الألمانية: الدكتور كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان-1970م).
- 41- من صور الإعجاز العلمي في آيات الله محمد حسن قنديل، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط2، 1432هـ-2011م.

42- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

43- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، (ت 468هـ- 1075م)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط10، (بيروت-1415هـ).

- الدوريات:

1. الاعجاز العلمي، مجلة فصلية، تصدر عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد (40)، (صفر- 1433هـ).

- المواقع الإلكترونية:

1. mawd003.com.
2. <https://www.almrsal.com>.
3. <https://www.ar.m.wikipedia.org>.
4. www.damasgate.com \ 424.
5. <https://www.marefa.org>.
6. www.uae7.com | vb | t33170.html.
7. <https://www.arageek.com>.
8. www.youtube.com | AllahMercy1.
9. fatwa.islamweb.net fatwa
10. <https://www.youtube.com/watch?v>
11. <http://vb.tafsir.net/tafsir37640/#.Vd6y3n0irMw>
12. <http://www.startimes.com/f.aspx?t=35669166>
13. <http://albayan.co.uk/article.aspx?ID=1111#sthash.gzCsXYof.dpf>
14. <http://albayan.co.uk/Article2.aspx?id>